لهُ الطريق الى اعظم الاكتشافات والى ذروة المجد حتى اصاب من الامتيازات الشرفيَّة ارفعها لاسيَّما لمَّا بلغ السنة السبعين من عمرهِ فأقيمت لهُ حفلات شائقة اشترك فيها علماء العصور فكان العالَم باجمعهِ صوتاً واحداً للثناء عليهِ وإطراء فضلهِ

لكنَّ عبءَ السنين كان يزدادُ ثقلاً على اعناقهِ فشعر بقرب أجلهِ وكان اوَّل ما فكَّر بهِ ان يدعو مرشد ضميرهِ الاب بولانجان الراهب البندكتي . وبعد ان تزوَّد اسرار الدين وبارك عيلتهُ واستودع اصحابهُ المخلصين بفراشهِ اسلم روحهُ لخالقهِ ويدهُ اليسرى في يد امرأتهِ وفي يمناهُ صليب المسيح الذي كان يكرِّر تقبيلهُ . فكانت وفاتهُ هذه الصالحة في عصر اليوم ٢٨ من ايلول سنة ١٨٩٥ وكان لنعاهُ رنَّة اسف سُمع صداها في انحاء فرنسة بل في اقاصي العصور واحتفلت باريس بجنازتهِ احتفالها باعظم رجالها . وبعد الصلاة عليهِ دُفن في معبدٍ صغير كما كان اوصى بهِ في وصيته الاخيرة فصار قبرهُ منذ ذاك الحين مزاراً تتناثر فوقهُ مع صلاة الزوَّار على راحة نفسهِ آيات الشكر والثناء على مآثرهِ المخلَّدة . فبكل صواب اقبل العالم على تكرار عرفان الجميل اليهِ بنسبة تذكار مولدهِ الشريف اجزل الله ثوابهُ في دار البقاء

ترجام القيامة المقدَّسة

لاجاثليق ايليا الثالث المعروف بابي الخير بن الحديثي

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

بين المخطوطات القديمة التي دخلت مكتبتنا الشرقيَّة منذ عهد قريب سفرٌ جليل كتب في مصر سنة ٧٠٤٣ لآدم الموافقة لسنة الميلاد ١٥٣٥ فيهِ مجموع تراجم اي خطب للاعياد السيديَّة في عدد ٣٢ خطبة نُشر ١٦ منها في الموصل في كتاب التراجم السنيَّة للاعياد المارانيَّة لايليا الثالث ابن الحديثي احد بطاركة الكلدان الساطرة المتوفَّى في القرن الثاني عشر سنة ١١٩٠

مسيحيّة . وقد عثرنا له على خطب لم تُنشر في بعض نسخ مكتبتنا الشرقيّة فادرجناها في المشرق . وها هوذا اثر جديد من قلم ذاك الخطيب المصقع وجدناهُ في المخطوط الحديث الذي نوّهنا به ترويد لقرّائنا الكرام بمناسبة عيد الفصح الواقع في غرّة نيسان قال :

الحمد لله الذي سَفَرَ عن بريّته ليلَ الممات والمنايا ، وجزّ على خليقته ذيل الحياة والحايا ، واشرق شموس حكمته في القلوب والافهام فنوّرها ، واستغرق في قاموس رحمته ذنوبَ الانام فغفرها ، وجلا عن الآفاق أغساق الضلال والأوجال ، وحلّى الاعناق باطواق الجلال والإقبال ، وأضحك مباسم الوعود بعد خمودها ، وحرّك مناسم الوجود بعد ركودها ، ودثّر بقمّم البلايا وصدّ بؤسها ، ونشر رمم الرجايا بعد دروسها

نحمدهُ حمدًا نقتدح بصدقهِ زناد العزائم ، ونستروح في طرقهِ عن موادّ الجرائم ، ونُقلع عن منازل الغرائم والمخاوف ، ونفرع الى معاقل المغانم والمعارف

معاشر الناس سيروا الآن بيانًا وجهرًا ، وأبشروا عيانًا وطُرًا ، بسبوغ الإنعام العميم المنار ، وبلوغ المرام الجسيم الاوطار ، واستعدّوا للتبوّج في مروج الارتقاء ، وجدّوا في التولّج في بروج البقاء ، وترنّحوا باشواق الرشاد والجود في هذا اليوم السعيد الجميل الاوصاف ، والعيد الفريد الجزيل الاسعاف ،

اليوم ترصّعت الخواطر بياقوت النعيم وفيروزج الكرامة والعلوم ، واطّلعت النواظر على نموت الحكم ونموذج قيامة العموم ، في مرآة القيامة المسيحيّة ، تلك التي بها قمنا من الوقمة الاوّليّة ، وحظينا بالرقمة العلويّة ، ورقينا عن القعور الدنيويّة الى القصور النوريّة ، اليوم تقمّصنا سرابيل الامان والايمان ، وتخلّصنا من اغاليل الشيطان والبهتان ، وفزنا من مخاليب الموت ، وحزنا مناجيب الفوت ، ونجونا من لواعج الوصوم ، وتوارينا عن زواعج الوجوم ، اليوم هُدمت اركان الوزيّة تلك الخطائيّة ، ونُظمت زُهر جمان الانسيّة في سلك القدسيّة ، اليوم تلألأت بدور المكارم في دياجي العدم ، وزالت شرور المحارم وفواجع الندم ، وحلّت ذراري البشريّة في منازل شرفها ، واتخذت جواري الخطيّة من نوازل سرفها ، اليوم سَجَع حمام الخلد على دوحة الحِمام ، وهجع غمام السعد في ساحة الظلام ، ولمعت بروق الامنيّة من حُوب المنيّة ، وسقت عروقَ الآدميّة بصَوب الحريّة ، اليوم طلعت شموس النجاح من صباح السماح ، وشمشمت كؤوس الافراح براح الايضاح ، وتبلّجت وجوه الآمال والاعمال ،

وانـدرجت سفوه المآل والزوال ، اليوم شرعت الاشارات الملغوزة ، وانتضحت الدلالات المرموزة ، ومات الموت المحتوم الاجل ، بموت الحيّ القيّوم الازل ، ذاك الذي تقمّص بشريّتنا بنفسه وايثاره ، وخلّص جبلّتنا ببأسه واقتداره ، وذاق كأس الحِمام باختيار حكمته ، ومزّق لبـاس الظلام بأنوار قدرته ،

ثم زار ارواحَ الابرار في الهاوية بتفانس قدسه ، وانار اشباح الاطهـار بمقابس انسه ، المكحولة احداق أنواقهم بأميال سيوبه ، المغلولة اعناقُ اشواقهم بآمـال رقوبه ، وانقذهم من لجّة الجحيم واغراص الجنّة ، واعادهم الى بهجة النعيم ورياض الجنّة ، واباد أفعوان المنون ، اعني به الشيطان الملعون ، وصدم دعائم دولته الغاشمة ، وهدم عزائم صولته القاصمة ، واقتطف نحور مقانبه البـاغية ، واستهرق صدور مناقبه الطاغية ، ورشقهُ بسهام الخطوب عن قدس العدالة ، ومزّقهُ بحسام الكروب وبأس البسالة ، وفرّق مواكب جيشه الرهيب ، ورنّق مشارب عيشه الخصيب ، واعدم حنادس اركانه وافانين مصايده ، وارغم مماطس سلطانه وعرنين مكايده ، وقلّص اذيال العيوب المكمومة في حبائله ، وخلّص اجيال الشعوب الموصومة بنوائبه ، من انياب نوائبه الضارية ، واوصاب معايبه الظارية ، وامسى ابليس الخسيس بعد شموخ صياصيه ، وبزوغ نواصيه ، أسير باعِ السبيّة ، حقـير انواع البريّة ، لكونه افترى بدواعيه على باريه ، واجترأ بمساعيه على منشيه ، واستحقّ السقوط من افلاك النعمة ، والهبوط في اشراك النقمة ،

واما الموت فلمّا رأى منشئ الامم والموجودات ، ومحيي رمم الاموات ، قد بدا في قوالب الممات ، ظنّ انهُ يرتبط في سَرَكه كالعموم ، وينخرط في سلكه المحتوم ، فضلّ بالناسوت الملكوز ببنانه ، عن اللاهوت المحجوب عن بيانه ، وشاقهُ الشرَه الى الوَلَع بالبشريّة ، وساقهُ البَلَه والطمع الى المنيّة ، فحيث حلّق مخلاب مرامه عن دواعيه ، وعلّق ثابَ فيه فيه ، نشقَ نسيم الاقتدار والخلود ، وقهقرَ عنهُ عديمَ القرار والوجود ، وأصبح كالباحث بظلّه ، عن حتفه ، مقنوطاً بأشراك لَبـه ، مخصوصاً بهلاك نفسه ، وانقلب الى العَطب والبَوار ، ولم يجد مذهباً الى الهرب والفرار ، وتلاطمت به امواجُ الأحزان ، وتراكمت عليه افواج الخسران ، وسجت على تيجـانه ذيولُ الهوان ، وسُكبت على اغصانه سيولُ الخزيان ، بعد ما كان قد استرقّت سيوفهُ

ارقابَ الجمهور ، واستدقت كفوفهُ احقاب الدهور ، واستزل الأقيال والاكاسرة من قُلَلهم ، وقتل الابطال والجبابرة وذلّلهم ، واهبطهم الى مهاويه المظلمة خطفاً ، واكتراهم بمكاويه المؤلمة عنفاً ،

فلمّا ولعَ بالحياة الازليّة ، تجرّع كأس البليّة ، وانفلجت حينئذٍ الحجّة عليه ، ونجتْ السبيّة من يديه ، واكتحلتْ بميل العَشا طرفاهُ ، وصفرتْ من سبيل الرجاء كفّاهُ ، سيّما لمّا لمعَ ضروب المعجزات الباهرة ، وشبوب المُبرات الزاهرة ، تلك التي خرّقَ نبأها دروعَ العوائد الطبيعيّة ، واشرق شمسها ربوعَ القواعد الشرعيّة ، اذ رأى الصخور قد تفلّقت ، والقبور قد تشقّقت . والبدور العلويّة قد انخسفت ، والقصور السفليّة قد انشرفت ، والشموس قد توارت وراء الاستار الفلكيّة ، والرموس قد تنوّرت بالانوار المسيحيّة ، والرمم الدارسة قد نُشرت ، والقمم الناشرة قد دُرست ، والاموات قد مزّقوا الاكفان والاتراح ، فتسربلوا بالحبور واطلقوا العنان للافراح ، وهم عن سفينة الارجاس منتزعون ، والى مدينة الاقداس مسرعون ، يذيعون سرائر الهداية والرشاد ، ويشيعون بشائر الفداية والمعاد ،

اليوم نجز وعد هوشع النبيّ (١٣ : ١٤) بالموت حيث يقول : اين شوكتك يا موت ، اين شوكتك أيها الجحيم العاسف ، وقد قهركما القدّوس الجبّار ، وسلب من ايديكما نفوس الابرار ، اليوم داود النبي يضرب في المجامع بقيثار المدّ ، ويُطرب السامع بأوتار الاسرار ، ويبادي الخواطر صريحاً ، وينادي على المنابر فصيحاً (مز ٣ : ٦) : استيقظ الربّ كالنائم من رقدته ، وصحا كالشارب من سكرته ، وبدّد بهابته شمل اعدائه ، وجدّد بقيامته وصل اوليائه ، اليوم شرح المثل المضروب من شمشون الجبّار ، المحجوب عن عيون الافكار ، (القضاة ١٤ : ٨—١٥) اجتنينا الاوطار من غصون المرارة ، وأصبنا الثار فنون الحلاوة والمرارة ، وحظينا من انيلب النوائب المؤذية ، بأسباب الرغائب المغذية

اليوم تفتّحت ابواب السماوات ، تزحزحت ارباب القوّات ، اليوم خدمة سلطان الاقطار ، وملائكة سماء الانوار ، خرّوا من قصورهم الساطعة خاضعين ، جثوا على وجوههم المتألقة ساجدين ، للبارز من لحود الاموات لجيّز حدود السماوات ، سفروا في الورى عن شموس عهودهم ، عفّروا في الثرى بهاء خدودهم ، لثموا ضريحهُ

بشفاهٍ نارية، ترنّموا في تسبيحه بنغماتٍ هنيئة، رفعوا الجندل عن باب الضريح، شرعوا بالجذل واطناب التسبيح، اشهروا في العالمين برهان السلامة، بشّروا البليّحيين والنسوان حقائق القيامة، وبجّوا المتقين عن الملك السماوي، في سلك المهاوي، قرّعوهم باعنّة العتاب رادعين، ارشدوهم الى سنّة الصواب قائلين (لوقا ٢٤ : ٥) : لماذا تطلبون ينبوع الحياة، في ربوع الاموات، وتبحثون عن مثوى الاكوان، في حواشي الاكفان، وتسألون عن خالق الدهور والنور، في غواسق القعور والقبور، أبشروا الآن بصفات قيامته، وانشروا في البلدان رايات بشارته، فقد قام من ديجور اللحد والقبر، وامتطى ظهور المجد والنصر، وسيبقكم بمجده الى الجليل، ويكحل بميل نوره بصركم العليل، فتقرّ ببهائه نواظركم المسهودة، وتُسرّ بسنائه خواطركم المكدودة

اليوم اينعت غصون الوعود وأورقت اسبابها، وجُدعت قرون اليهود وتمزّقت احزابها، واجتمع بالمسرّة البليّحيون الى غايّة الاسوار، وانفتحوا عن ابواب الاخطار، وتوشّحوا باثواب الوقار، واستضاءوا بالمصابيح المضيّة، وتسلّموا المفاتيح السماويّة، تأيّدوا باسانيد الحكم وفوائدها، تقلّدوا باقاليد النعم وقلائدها، انثنوا على اسرار الذخائر ونعوت الكرامة، فأعلنوا ببشائر الملكوت والقيامة، اليوم تهلّل الانبياء بكمول مقالهم، وحصول آمالهم، فعمّ سرور القيامة السماويين والارضيين، واشتمل نور الرحمة على النورانيين والبشريين

ايها المؤمنون فلنفرح نحن ايضاً مع ضروب ملائكة النور، بقلوب ضاحكة الثغور، ولنقتفُ آثار النبيين والابرار، والبليّحيين الاطهار، ونسارع بأقدام صدق الطويّة، وإقدام شوق النيّة، وفطرةٍ خالصيّة، الى المقبرة المخلّصيّة، ونخضع لديها بجباهٍ مذلّلة، ونتضرّع اليها بافواهٍ مرتّلة، لتصبح يومَ نشور الاموات، وظهور المخبّآت، من العباد المرضيين، واولاد اليسين، بشفاعة ذات الشفاعات وجميع القديسين، آمين